

أفي الأثير سر الحياة والعقل

آراء للسر أو ليفر لدج

١ : مادة الحياة : ان وجود المادة ثابت ، لا سبيل الى انكاره . وألمادة عديده الصور متوعة الاوصاف . كالمعادن والسوائل والغازات والبروتونات والكوارب . على انها قد توجد في صورة مركب هلامي يدعى « بروتوبلازم » . والبروتوبلازم هو مادة ظهرت فيها بميزات الحياة فدعوها « للمادة الحية » . ومع اننا لا نعرف ماهي الحياة ندرك المراد بها ، لاننا نشاهد صفاتها واصطفاها . فنبين بين الحى وعدم الحياة كما نميز بين صور النبات والحويوان . ونعلم ان كل حي يلد كجنسه

٢ : الحى العاقل : وكما تظهر الحياة في المادة ، متى بلغت المادة درجة معلومة في سلم النشوء ، هكذا يظهر في المادة الحية ظاهرة نسميها ظاهرة « العقل » متى بلغت درجة معلومة في سلم النشوء . ويتفاوت الاحياء في درجة العقل . واعقل الاحياء الانسان بلا مراء . والذي نفهمه من امر العقل انه مرتبط بالحياة ارتباط الحياة بالمادة . فلا نعرف حياة بدون مادة ، ولا عقل بدون حى . ونعلم ان الحياة والعقل يسودان المادة ويتصرفان بها ثم يخفيا ولم اقل بتلاشيان لانهما يخرجان عن طوق المعرفة الحسية ولا حكم للعالم الطبيعي على ما يخرج عن معرفته الحسية

٣ : الأثير : ذهب علماء الطبيعة ، منذ عهد نيوتن الى ان القضاء اللامتناهي ، ملو به شىء دعوه « أثيراً » في ذلك الحين وذاع هذا الرأي بين علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر كما ذاع رأي الجوهر الفرد . الا ان العلماء تمكنوا من اثبات وجود الجوهر الفرد بالامتحانات العلمية ، وعرفوا وزنه وحجمه ، وبناءه . وأما الأثير فلم يتمكنوا من اخضاعه لقواعد التجارب العلمية ، لانه غير متشكل بالشكل المادي ، ولا هو مركب من اجزاء ، ولا ينتقل من مكان الى مكان ، ولا يتكيف بشكل مختلف . ولكنهم اضطروا ان يتقدموا بوجوده بسبب التور . فالنور اما انه مادة او ظاهرة طبيعية . فان كان عمادة منبثة من الاجرام السموية في شكل ذرات دقيقة تفتح كذا الوفا من الاميال في الثانية ، فيلزمه حتماً ، شىء لا يحمله ، كما يحمل الماء البواخر ، وكما تحمل خطوط الحديد القواطر والقطارات . واذا كان التور ظاهرة طبيعية اي موجاً

قيلزم ان يكون هناك شيء يمتوج . وعلى كلا الحائنين لا بد من وجود شيء . يحصل
النور او يمتوج فيكون النور . وذلك الشيء على رأيهم هو « الاثير »
وقد كتب السير اويشر لدرج كتاباً في هذا الموضوع سماه « الاثير والحقيقة » طبع
في شهر مايو سنة ۱۹۲۵ ثلاث طبعات . وعنه اقتبسنا الآراء الواردة في هذا المقام
٤ : العلاقة الاثيرية : لسنا نعلم كيف تتصل الحياة بالمادة ، ولكننا نعلم انهما
متصلتان — في الاجسام الحية — وظواهر ، ذلك الاتحاد واضحة لا يقوى عاقل
على انكارها . فان الحي يقوم ويمتد ، ويمتل ، وفي كل ذلك يؤثر في المادة ويحركها .
ولاشيء من ذلك الاثير في المادة عديمة الحياة . فاقصال الحياة والعقل بالمادة
ثابت ولو كان تعنيه غير مفهوم . فهل من صلة للاثير بالعقل والحياة كصلته بالمادة ؟
لا تقدر ان تثبت ذلك الاتصال بالامتحانات العلمية لان « الاثير » خفي لا تدركه
الحواس . ولكن ذلك الاتصال لا بد منه لشدة ارتباط ائادة بالاثير — وقد ابان
السير اويشر ذلك في شرح طويل بسط فيه علاقة النور بالاثير ثم علاقة الكهرباء
والانتمطية به . وقال بعد ذلك : فاذا يحصل في الاثير حين ينحل الجسم الحي وتبرحه
ظاهرة الحياة ؟ ان الاثير لا ينحل كما ينحل الجسم لانه غير مركب . فلا تقدر ان
تقول ان الحياة تبرح الاثير كما تبرح المادة . ويريد السير اويشر لدرج عن ذلك ان
يجعل يقول اناس عقيدة الخلود بعد الموت بانوسائل العلمية الطبيعية امرأ سائفاً
٥ : الحياة والعقل : قلنا ان من صور الحياة صوراً راقية تتعصف بالادراك والشعور
والذاكرة والحب ، وغير ذلك من الاوصاف السامية التي لا نعرف كنهها . ولسنا نكر
وجود هذه الصفات في الحيوانات ، كثيراً أو قليلاً ، ولكن لا نستطيع ان نكر انها
في الانسان ارقى واوضح منها في الحيوان . فهل هذه القوى العقلية ملازمة الحياة او
منفصلة فيها ؟ اعني هل تقوم بذاتها من غير ان تظهر في شكل حي ؟ انا نعلم ان
هذه الصفات غير مادية . ومع اننا لا نعرف كنهها فقد اتفاهنا كما اتفاهنا شروق الشمس
كل صباح وغياها كل مساء . فهل تنتشر هذه الصفات الى مطية في العالم المادي ، كما
تنتشر الحياة الى البروتوبلازم ، او هل يمكن استقلالها بالوجود ؟ الامر واضح انها تقتصر
الى مطية متمطيا فلا نعرف عقلاً بدون عاقل ، كما لا نعرف حياة في غير جسم حي .
ومع ان الشعور والذاكرة والارادة والحب ، ليست اشياء مادية ، فلسنا نفهمها بدون
اتصالها بناادة . وبناء على وجود هذه الصفات في انهم وجودها في امثالي من الناس